بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ العرب

الدرس الاول

جزيرة العرب

فى الغرب من قارة آسيا شبه جزيرة يسميها المؤرخون جزيرة العرب وهى محدودة من الغرب ببوغاز باب المندب والبحر الاحمر وقنال السويس ومن الشمال ببلاد الشام ووادى نهر الفرات ومن الشرق بوادى الفرات والخليج الفارسى ومن الجنوب بالمحيط الهندى، وهى منقسمة الى ثمانية أقسام (الاول) اليمن وهو فى الجنوب الغربى من الجزيرة وبه من المدن صنعاء وسبأ ومأرب (الثانى) حضرموت فى الجنوب وحولها رمال كثيرة تعرف بالاحقاف وبه سميت السورة السادسة والاربعون من القرآن الكريم (الثالث) عُمان وهو

في الجنوب الشرقي وقصبته صُحار (الرابع) البحرين وهو بين البصرة وعمان وقصبته هَجَر (الخامس) اليمامة وهي في الغرب من البحرين وقاعدتها حُجْر وتسمى اليمامة جوًّا والعَروض (السادس) نجد وهو في وسط بلاد العرب وبه من المدن رياض وحائل (السابع) الحجاز وهو في الغرب من نجد وبه مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف (الثامن) تهامة وهي في الغرب من الحجاز على الشاطئ الغربي

بهذه الجزيرة نشأت الامة العربية

أصل العرب

العرب من الامم الساميّة (نسبة الى سام بن نوح) ومن العرب أمم بادت فلم يبق منهم الا الذكرى ومنهم أمم بقيت وكان لها تاريخ عظيم

فاما العرب البائدة فأشهرهم عاد وثمود وطَسْم وجديس

فاما عاد فكانت تسكن بالاحقاف وقد قص الله علينا شيئا من تاريخهم في القرآن الكريم ليعتبر الناس بحالهم. لما

استكبروا فى الارض بغير الحق أرسل الله اليهم أخاهم هوداً يدعوهم الى عبادة الله وخلع ما هم عليه من عبادة الأوثان فصموا عن ندائه فأرسل الله عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما حتى أبادتهم فلم تبق منهم باقية

وأما ثمود فكانوا يسكنون بالحجر شمالى المدينة أرسل الله اليهم أخاهم صالحا فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره فلم يمتثلوا فأهلكهم الله بصيحة صيرتهم كهشيم المحتظر

وأما طسم وجديس فكانت مساكنهم باليمامة وكان ملكهم من طسم وكان ظالما عاتيا ولما اشتد ظلمه وبغيه وفجوره ائتمر عليه وعلى قومه جماعة من جديس فاغتالوهم ولم يبق من طسم الا رجل فر واستغاث بحسان بن تبع ملك اليمن فسار معهم الى جديس وحاربهم حتى ابادهم وبذلك بادت القبيلتان

الدرس الثانى

العرب البائدة

أما العرب البائدة فيتألفون من شعبين عظيمين بنى

قحطان وبنى عدنان

اما الشعب القحطانى ويسمى بالعرب العاربة فأبوهم يعرب بن قحطان الذى يقال أنه أول من تكلم بالعربية واتخذ بلاد اليمن مسكنا . وفى عهد بنى سبأ وهو حفيد يعرب كانت البلاد جنة من جنات الدنيا وهى التى قال الله فيها (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) وكان لهم واد تملؤه السيول جعلوا له سداً يحفظ عليهم الماء ويبعد عنهم هجمات السيل فلما تطاولت عليهم الازمان وزاد ترفهم خرب ذلك السد وأرسل الله عليهم سيل العرم فأتلف أرضهم ولم تعد تحتملهم فرحل عن اليمن كثير من قبائلهم

ومن الراحلين غسان سارت الى مشارف الشام وأقامت بها . ورحلت الاوس والخزرج من الأزد فأقاموا بيثرب (المدينة المنورة) ورحلت بطون لخم فاقامت بالحيرة قريبا من نهر الفرات وبقى باليمن قبائل حمير ومذحج وهمدان وكندة

أما الشعب العدنانى فينسب الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وكان ابراهيم قد أنزل ولده اسماعيل مع أمه هاجر بمكة وبنى البيت الحرام فكثر نسله وتكون منه شعب عظيم

وبنو اسماعيل هم العرب المستعربة لان أصلهم عبرانى وتعلم اسماعيل العربية من جرهم الذين كانوا يقطنون بالحجاز. ومن ذريته عدنان الذى ينتهى اليه النسب الصحيح لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان لمعد بن عدنان ولدان ربيعة ونزار فأما ربيعة فمن أشهر ذريته قبائل بكر وتغلب ابنى وائل وعبد القيس وبنو حنيفة. وأما مضر فمن أشهر ذريته بنو تميم وقبائل قيس عيلان وهذيل وكنانة ومن كنانة بطون قريش

وكان العدنانيون يقيمون أولا بالحجاز فلما ضاق عنهم رحل كثير منهم فرحلت بكر وتغلب الى الشمال على حدود الفرات ورحلت عبد القيس الى البحرين ورحلت تميم وقبائل قيس عيلان الى نجد وبنو حنيفة الى اليمامة وبقى الحجاز لقريش

واختصوا بخدمة البيت الحرام فصار لهم حرما آمنا يحتمون به اذا خافوا

معيشة العرب

العرب ينقسمون من حيث معيشتهم الى ثلاثة أقسام بادية ومتحضرون وحضر . فاما البدو منهم فلم يكن لهم مقام معين بل كانوا يتبعون الكلأ ومنابت العشب فكلما أجدبت أرضهم رحلوا عنها الى غيرها يلتمسون المرعى لماشيتهم التى هى جل رزقهم يشربون ألبانها ويأكلون لحمها ومن هـذا القسم معظم أهل نجد واختصوا باسم الاعراب

أما المتحضرون فكانت لهم أماكن معينة لا يرحلون عنها ولكنهم لا يبتنون بناء ولا يشيدون صروحا وانما مساكنهم خيامهم

أما الحضر فهم سكان المدن وهؤلاء هم الذين كانت لهم مدنية قبل الاسلام وكان منهم الملوك والاقيال

الدرس الثالث

مدنية العرب قبل الاسلام

كان للعرب مدنيـة عظيمة فى اليمن والحـيرة والشام

والحجاز أما فى اليمن فكانت قاعدة الملك صنعاء والجالسون على عرش الملك أقيال حمير ومن أعظمهم عبد شمس الملقب بسبأ وهو حفيد يعرب بن قحطان واليه ينسب بناء مدينة مأرب والسد العظيم . ومنهم حِمْيَر وابنه وكان من الحميريين الاذواء سموا بذلك لان ألقابهم كانت تبدأ بذو نحو ذو المنار وذو الازعار . ومن ملوك حمير بلقيس وكانت معاصرة لسليمان بن داود سلطان بنى اسرائيل بأورشليم وقد وفدت عليه فأكرم وفادتها وآمنت برسالته ثم عادت الى بلادها . ومنهم التبابعة ينسبون الى أبيهم تُبَّع الاول وكان آخرهم ذويزن الحميرى وهو الذى أخذت الحبشة منه بلاد اليمن وامتلكوها مدة . وأبرهة ثانى ملوكهم هو الذى غزا مكة وأراد هدم البيت لولا حماية الله لحرمه فارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول (سورة الفيل) وكان أهل الحجاز يؤرخون بهذه الحادثة ويطلقون عليها عام الفيل لان ابرهة كان معه فيل عظيم حبسه الله عن دخول مكة . وفى عهد مسروق بن ابرهة نشأ سيف بن ذى

يزن واستغاث بملك الفرس فاغاثه بجند فارسى سار معه حتى استرد بلاده وطرد الحبش الا قليلا منهم أبقاهم عنده خداما فاغتالوه . ولما علم بذلك كسرى أرسل من قبله عاملا يتولى بلاد اليمن فجاء الاسلام وهى فى ملك الفرس

وكان ببلاد اليمن القصور العظيمة منها قصر غُمْدان بظاهر صنعاء . وله غرف شهيرة يسمونها المحاريب وهو محكم البناء عظيم الصنع

واما فى الحيرة فكان الملوك من لخم احدى قبائل اليمن التى رحلت بعد سيل العرم ويسمى ملوك الحيرة منهم بالمناذرة وكانوا عمالا للاكاسرة ملوك الفرس ومن أعظم ملوكهم جَذِيمة الابرش وهو الذى قتل ملك الجزيرة عمرو بن الظرب بعد حروب هائلة فاجتهدت الزباء بنت عمرو فى الاخذ بثاره فاحتالت على جذيمة حتى أقدمته بلادها وفتكت به . ومن أعظمهم النعمان بن امرئ القيس وهو الذى بنى قصر الخورنق وقصر السدير وهما من أعظم المبانى العربية . ومن أشهر ملوكهم النعمان بن المنذر الملقب بأبى قابوس

قتله ملك الفرس أبروبز وكان قتله سببا لوقعة شهيرة بين العرب والفرس بذى قار انتصرت فيها العرب وكان ذلك قبل البعثة بقليل . وبقتل النعمان انتقل الملك بالحيرة الى اياس ابن قبيصة الطائى ثم عاد الى آل النعمان وكان آخرهم المنذر بن النعمان الملقب بالمغرور

وأما فى الشام فكان الملك فى آل غسان وهم من قحطان رحلوا من اليمن بعد سيل العرم وأول من تولى الشام منهم جفنة بن عمرو وهو الذى تنسب اليه ملوك الغساسنة فيقال آل جفنة . وبنى جفنة بالشام مصانع كثيرة وما زالت ملوك غسان تتعاقب على الشام ولهم دمشق وما والاها واتسعت مدنيتهم وعظم عمرانهم . وكان بينهم وبين المناذرة ملوك الحيرة منافسة أدت الى وقائع مشهورة بين الفريقين كانت الحرب فيها سجالا

وكان آخرهم جبلة بن الأيهم وهو الذى أسلم فى عهد عمر بن الخطاب ويقال انه حج فى عهد عمر فبينما هو يطوف اذ وطئ أعرابى على طرف ازاره فانحل فلطم جبلة الاعرابى فاستعدى

عليه عمر فقال عمر لجبلة اما القصاص واما أن تفتدى اللطمة من الاعرابى بالمال فعز ذلك على جبلة وكان سببا لعودته الى النصرانية وهربه الى القسطنطينية فأقام بها حتى مات

وكان ملوك غسان عمالا من قبل القياصرة ملوك الروم على عرب الشام

وأما فى الحجاز فكان التقدم والرياسة لقريش وان لم يكونوا يسمون ملوكا

وقريش هم اولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة

وكانت قريش بطونا كثيرة اضخمها وأعزها بنو عبد مناف بن قصى . وكان لعبد مناف أربعة من الاولاد وهم هاشم وعبد شمس ونوفل والمطلب . وهاشم هو والد عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن ولد عبد المطلب العباس الذى ينسب اليه العباسيون وأبو طالب والد على الذى ينسب اليه العلويون . ومن ولد عبد شمس أمية الذى ينسب اليه الأمويون

وكانت الرياسة والتقدم فى قريش لبنى عبد مناف

وكانت قريش تتجر الى الشام واليمن فكانت لهم رحلتان رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام وقد ذكر الله هاتين الرحلتين فى سورة قريش ممتنا عليهم بانه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

وكان ببلاد العرب سوى ذلك ملوك لم يكن لهم من الشأن ماكان لمن ذكرناهم

أما بقية القبائل العربية فلم يكن لهم ملوك وانما كان لهم رؤساء ومشايخ وقضاة يصدرون عن أمرهم وكلما كان الرأس أقدم محتداً وأقوى عصبة وأوسع ثروة كان احترامه أقوى وأوفر وكلمته لا ترد حتى كان منهم من اذا غضب تقوم القبيلة معه لا يسألونه لم غضب واشهر من هؤلاء فى القبائل عدد كثير ومنهم من كانت زعامته تشمل جملة من القبائل حتى يكون قريبا من الملك فى سلطته وان لم يشبهه فى ترفه ومدنيته

الدرس الرابع

دين العرب

أرسل الله الى الامة العربية كثيراً من الانبياء يدعونهم

لعبادة الله وحده كهود وصالح وشعيب. وممن أرسل الله اليهم اسماعيل بن ابراهيم أبو العرب المستعربة فكان بنوه من بعده على دينه حتى تقادم العهد ووجد من بينهم رؤساء الضلالة فحولوهم عن التوحيد الى الشرك ونصبوا لهم الاوثان والاصنام ليتقربوا بها الى الله زلفى ونصبوها حول الكعبة وبنوا لبعضها هياكل قائمة بنفسها كهيكل العزى وسواع ويغوث ويعوق ومناة. ثم صارت هذه الاوثان فى نظر عامتهم شركاء لله أو آلهة أخرى يعظمونها ويتقربون اليها فيذبحون عندها الذبائح. وكان بعضهم يقسمون هذه الذبائح بين الوثن وبين الله وهم الذين قال الله فيهم «وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون»

ويقول بعض المؤرخين ان السبب فى عبادة العرب للاصنام انما هو من تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الاصنام على صورهم ولما جاء الخلف لم يدروا ما المعنى من تلك الصور ولكنهم ورثوا تعظيمها عن سلفهم حتى صارت فى نظرهم آلهة

تعبد وهذا هو سر النهي فى الاسلام عن نصب الصور للعظماء

ومن العرب من كانوا يعبدون الشمس فكانوا يسجدون لها إذا طلعت وإذا زالت عن كبد السماء وإذا غربت وهذا هو السر فى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى هذه الاوقات . ومنهم من عبدوا القمر وصوروا له صورة يعظمونها . ومنهم فئة كانت تعبد الكواكب

ومن العرب من اتخذ دين اليهود وهم كثير من الحميريين وأهل يثرب . ومنهم العرب المتنصرة وهم الغساسنة سكان مشارف الشام وأهل نجران وقد أخذ أهل الشام دين النصرانية عن الروم

على ذلك كانت أديان العرب مختلفة لا يجمعهم دين ولا معتقد حتى جاء الاسلام فجمعهم وألف بين قلوبهم

ومع هذا الاختلاف كان أكثر العرب يحترم الكعبة ويحج اليها تعظيما لها وكانت أشهر الحج من الاشهر التى حرم فيها العرب القتال حتى كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فى ايان الحج فلا يعرض له

اخلاق العرب

اشتهرت العرب باخلاق عرفت عنهم وامتازوا بها . فمنها الجود: كانوا يرون أن قرى الضيف من أول واجباتهم حتى كان الرجل منهم ينزل به الضيف وهو لا يملك الا ناقته التى هى ملجؤه عند الشدة فينحرها له وقد اشتهر منهم جماعة بإيثار ذوى الحاجة على أنفسهم كحاتم طيئ وكعب بن مامة وعبد الله بن جُدعان وهاشم بن عبد مناف وغيرهم

ومنها حب الاستقلال وإباء الضيم فكان الرجل منهم عزيزاً فى نفسه لا يقبل المذلة مهما كان مصدرها ومن تأمل حروب العرب العظيمة يجد أسبابها عزة النفس وإباء الضيم. كان سبب حرب ذى قار أن النعمان بن المنذر لما طلبه كسرى الى المدائن وأحس النعمان بالشر أودع سلاحه وحرمه عند قيس بن مسعود الشيبانى فلما قتل النعمان طلب كسرى من قيس ان يسلم اليه ودائع النعمان فأبى عليه ذلك وأعد للحرب عدته وكان هذا سببا لتلك الواقعة الكبرى التي انتصر فيها العرب أول انتصار لهم على العجم . وكان الواحد منهم اذا

احتمى به جار بذل دونه نفسه وماله : كان للبسوس خالة جساس بن مرة جار وله ناقة ترعى مع إبل جساس وكان لكليب ابن ربيعة سيد القبيلة وادقد حماه فلا يرعى فيه الا بهمه فرأى ذات يوم ناقة جار البسوس ترعى فى ذلك الوادى فرمى ضرعها بسهم فلما علمت البسوس بذلك صاحت واذلاه فهدأ جساس روعها ثم خرج فقتل كليبا يريد بذلك محو عار الاهانة التى لحقته باصابة ناقة جاره وكان ذلك سببا لحرب البسوس التى نشبت بين قبيلتى كليب وجساس ودامت سنين كادت تفنى فيها القبيلتان

كان من خلق العرب الوفاء للصديق فى الشدة والرخاء وقد تمدحوا بذلك فى اشعارهم التى جمعت محاسن الاخلاق

وكان بجانب تلك المحاسن مساوئ منها سرعة الغضب والجرأة على الشر دعاهم الى ذلك قحولة بلادهم وحاجتهم الى ما يقوتون به انفسهم فكانت بينهم الغارات الدائمة والحروب المتواصلة تطمع كل قبيلة فى اغتنام مال الأخرى

ومن اسوأ ما يؤثر عن بعض قبائلهم وأد البنات وهو دفنهن أحياء وانما يفعل ذلك منهم من خشى الفقر لانه يرى

أن تحصيل البنت قوتها ليس فى قوتها بخلاف الولد فكان يعدو عليها عقب ولادتها ويمحو بالدفن أثرها وهذا جرم فظيع وقد وجد من عقلائهم من دعا الى منع ذلك فكان يشترى البنت التى يريد أبوها ان يئدها وبذلك نجا كثير من هؤلاء المنكودات وقد ذم الله سبحانه هذا الصنيع فى كتابه الكريم

الدرس الخامس

لغة العرب وآدابهم وعلومهم

كان لكل من الشعبين القحطانى والعدنانى لغة خاصة به واللغتان وان اتفقتا فى اللهجة تختلفان فى كثير من الالفاظ وقد جمع اللغتين اسم اللسان العربى وهذه اللغة واسعة المادة حتى انك لترى كثيرا من المسميات يدل على الواحد منها اكثر من اسم واحد وربما فاقت المائة والمئتين . وقد ازدادت اتساعا بما أدخله العرب عليها من الكلمات الفارسية والرومية بعد أن صقلوها بألسنتهم حتى صارت على منهاج كلماتهم وربما تركوا الكلمة

التي أخذوها على حالها بعد تغيير خفيف فيها والماجم اللغوية ملأى بتلك الكلمات

وكان من العرب بلغاء معدودون امتازوا بالقدرة على تأدية المعانى بأسلوب جيد يأخذ بالالباب وهم الخطباء والشعراء

قالوا الشعر على وزن خاص بهم ليكون اقرب الى الفهم وأسهل للحفظ فدونوا فيه مآثرهم ومفاخرهم وكان لهم اسواق شهيرة كسوق عكاظ يجتمع فيها الناس من كل صوب فينشد الشعراء قصائدهم ويقضى قضاتهم بالتقدم لابلغهم

واشتهر من بين الشعراء اصحاب المعلقات السبع وهى قصائد استحسنها العرب ونوهوا بذكرها ومن احسن المعلقة زهير بن أبى سلمى التى يقول فيها

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترر يحسب عدواً صديقه

ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن بك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكان الشعراء فى القبائل كاصحاب الجرائد فى العصور الراقية يدافعون عن قبائلهم اما بمدح شمائلهم واما بهجاء خصومهم وكان فى كل قبيلة شاعر كما كان لها خطيب. وممن اشتهر من خطباء العرب سحبان وائل حتى ضربوا به المثل فقالوا أخطب من سحبان ومنهم قس بن ساعدة الايادي وزهير بن خباب الحميرى وقيس بن زهير العبسى وغيرهم

وكان معظم العرب اميين لا يكتبون ولا يقرؤون فكانوا يعتمدون على حافظتهم فى حفظ الاشعار والخطب حتى وجد عندهم الخط أخذوه من الامم المجاورة لهم وآخر من وصل اليه الخط منهم عرب الحجاز فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والكتابة قليلة جدا فساعد الاسلام على نشرها بين الافراد

وبذلك لم تكن للعرب علوم مدونة وإنما كانت عندهم أشياء يتوارثها الخلف عن السلف تقليداً . كان منهم النسابون الذين يضبطون انساب القبائل ويرجعون نسب كل منها الى أبيها الاول وكان لهم بذلك عناية كبرى

وكان منهم الخبريون الذين يعرفون أخبار الماضين كالمؤرخين فى زماننا يأخذون ذلك من الشعر المحفوظ الذى هو سجل أخلافهم ومستودع علومهم ولذلك قيل الشعر ديوان العرب

ومن أكبر ما كانوا يعتنون به أمر النجوم وحركاتها ليهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر وليعرفوا بها الامطار التى بها حياتهم فكانوا يعرفون منازل القمر وانواءها . وهم الذين قسموا الفلك الى اثنى عشر قسما وسموا كل قسم منها برجا لكل فصل من فصول السنة ابراج مخصوصة

ومن علومهم علم القيافة وهى قيافة الاثر وقيافة الآدميين أما الاولى فهى تتبع آثار الاقدام والاخفاف والحوافر ليعلم منها أين سار المتتبع وأما الثانية فهى المقابلة بين أعضاء

شخصين من الناس ليحكم بصحة نسب أحدهما الآخر وكان لهم فى الامرين مهارة غريبة لا يزال شيء منها موجودا بين العرب فى بوادي الحجاز والسودان . فكان كثير منهم من يرى الاثر فيقول هذا أثر فلان وهذا أثر بعير فلان واذا نظروا الى عدة اشخاص يلحقون الابن بأبيه والاخ بأخيه وميزوا الاجنبي اذا كان بينهم

ومن علومهم الفراسة وهى الاستدلال بهيئة الانسان وشكله ولونه وأقواله على أخلاقه من فضيلة ورذيلة

ومما كانوا يشتغلون به الطب وهو مبنى فى الغالب على تجارب قاصرة يتوارثونها عن مشايخ الحى وعجائزه (كالذى يعرف عندنا بطب الركة) ومن مشاهير اطبائهم الحارث بن كلدة وكان من اهم ادويتهم الكى بالنار ولايزال العرب يستعملونه فى العلاجات

هذا اعظم ماكان يعرفه العرب من العلوم وكله لم يكن مرتبا منظما وانما كان على قدر حاجاتهم فى بواديهم حتى جاءهم الاسلام فأرشدهم الى العمل الصالح فكانت لهم هذه المدنية العظيمة

الدرس السادس

حالة العرب الاجتماعية قبيل الاسلام

(الرجل فى أهله) — كان الرجل فى الأسرة العربية سيدها واليه يرجع كل أمر هو لها ولم يكن للمرأة شأن بل كان ينظر اليها كما ينظر الرجل الى المتاع الملقى يقولون ان غاية وظيفتها أن تكون وعاء للولد ليس لها دخل فى تربية ولدها بعد أن تضعه وتتم رضاعه ولم يكن الا نسوة قلائل معدودات من بيوت الاشراف كانت لهن سيطرة فى بيوتهن أما عامة النساء فكان ينظر اليهن نظر الحقارة والامتهان حتى كان كثير من القبائل يئد البنات واذا بشر بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به

وكانوا يربون الذكور من ابنائهم على القسوة والجرأة والاقدام حتى يكونوا عونا لهم فى الدفاع عنهم او الهجوم على عدوهم ولذلك كانوا يسمونهم باسماء مزعجة مثل مرة وأسد ونمر وكلب وماشا كل ذلك

ولم يكن هناك حد للرجل فى زواجه بل كان يتزوج من النساء بما شاء

(الرجل فى قبيلته)— كانت عصبية كل قبيلة متحدة على من يناوئ فردا منها من القبائل الاخرى فاذا أوذى واحد من القبيلة ونادى يالقومى فسرعان مايجيبونه وسرعان ما ينشب القتال بين القبيلتين لأتفه الاسباب وذلك لانه لم يكن لهم قضاة محترمو الرأى يحكمون بين القبائل المختلفة واسباب الخصام كثيرة وبكثرتها يكثر النزاع . وكانوا اذا قتل فرد من قبيلة تقوم القبيلة كلها للقصاص من القبيلة التى منها القاتل واذا كان المقتول سيداً لايرضون بالقود من نفس القاتل اذا كان حقيراً بل يكون همهم القود من سيد مشابه للمقتول وان لم يكن له دخل في الجناية بذلك كان الهياج بين القبائل مستمراً لانه لا وازع لهم وهذا ماجعل قوتهم ضعيفة مع ماهم عليه من البسالة والاقدام فكانت الدولتان المجاورتان لبلاد العرب وهما الفرس والروم متغلبتين على أخصب الاراضى العربية فكان للفرس اليمن واليمامة والبحرين ووادى الفرات

يولون على بعضها عمالا من قبلهم فرسا كانوا أو عربا وكان للروم ما جاور الشام من بلاد العرب . ولم يكن خارجا عن نيرهم الا بلاد نجد والحجاز وقبائلهما مشتغلة بحروب لا تخمد نارها حتى بين القبائل التى يجمعها اب قريب كالأوس والخزرج وقريش وقيس . بذلك كانت البلاد العربية فى حاجة كبرى الى اصلاح دينى يقوم معتقداتهم الفاسدة واصلاح اجتماعى يبين لهم واجبات الرجل فى أهله وواجباته فى عشيرته وجمع هذه القبائل المختلفة تحت لواء واحد حتى تكون قوتهم جميعا فتتغلب على تلك الامم المجاورة

لذلك نظر الله الى هذه الامة نظر انعطاف وأرسل لها رسوله الاكرم محمداً صلى الله عليه وسلم

الدرس السابع

سيدنا محمد

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف من أكبر اسرة فى قريش تزوج والده عبد الله بأمه

آمنة بنت وهب من بنى زهرة من قريش وتوفى قبل ولادته . ولد عليه السلام بمكة فى ٢٠ أبريل سنة ٥٧١

وكفله جده عبد المطلب ثم عمه أبو طالب بعد وفاة جده . وكان فى صغره وشبيبته مثالا لمكارم الاخلاق حتى سمته قريش الامين لصدقه وامانته . ولما بلغ خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد من بنى أسد بن عبد العزى من قريش

وقد حفظه الله قبل رسالته من كل أعمال الجاهلية التى جاء شرعه الشريف بضدها وبغضت اليه الاوثان بغضا شديداً حتى لم يكن يحضر لها عيدا أو احتفالا مما يقوم به عبادها وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيوعها فى العرب شيوعا عظيما

ولما بلغ اربعين سنة أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم وكان ذلك فى أول فبراير سنة ٦١٠ من ميلاد المسيح عليه السلام

جاءه الملك الذى يبلغ الانبياء عن الله رسالته فى غار حراء وأقرأه أول آيات نزلت من القرآن وهى قوله تعالى (اقرأ باسم

ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأوربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وفى هذا اشارة الى أن هذا الدين القويم اساسه العلم والتعليم

ثم نزل عليه بعد ذلك التكليف بدعوة الناس الى الله تعالى بقوله جل ذكره (يا ايها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر)

فقام عليه السلام بامر الله ودعا لعبادته اقواما فيهم جفاء وغلظة اتبعوا ما كان عليه آباؤهم من عبادة الاوثان . صدقه عليه السلام جمع قليل من ذوى العقول السليمة منهم أبو بكر الصديق وخديجة بنت خويلد وعلى بن أبى طالب وزيد بن حارثة وغيرهم من السابقين الاولين

وكان عليه السلام فى بدء الامر يدعو الى الله سرا حتى نزل عليه قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فامتثل أمر ربه وجهر بدعوة الناس الى دين الله وكان ذلك داعية الى أن عاداه الرؤساء من قريش تعصبا لما كان عليه آباؤهم وخوفا على رياستهم ان تذهب عنهم . لم يكتفوا بعدم

اتباعه بل صاروا يؤذون كل من اتبعه بكل مايقدرون عليه من انواع الايذاء وآذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقابل ذلك هو والمؤمنون بالصبر وتحمل الشدائد فى سبيل الله

ولما رأى عليه السلام شدة الاذى على أصحابه أمرهم بالهجرة الى بلاد الحبشة فهاجر اليها فى الاول عشرة رجال وخمس نسوة ثم هاجر بعدهم ثلاثة وثمانون رجلا وثمانى عشرة امرأة وقد أكرمهم النجاشى ملك الحبشة وآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم

اما الذين بقوا بمكة من الصحابة فقد نالهم من الاذى ما لا يمكن احتماله الا لمن تمكن الاسلام من قلبه واختلط بدمه ولحمه وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم

وكان يمنع عن رسول الله بعض الاذى عمه أبو طالب وزوجه خديجة فلما ماتا اشتد الامر وصد المشركون عن سبيل الله وعن الاسلام كل راغب فيه فخرج رسول الله من مكة الى الطائف وبها قبائل ثقيف فعرض على رؤسائهم أن يساعدوه حتى يتم امر ربه ويبلغ رسالته فردوا عليه ردا قبيحا ولم يكتفوا

بذلك بل اوعزوا الى سفهائهم ان يؤذوه عند عودته فصاروا يرمون عليه الاحجار حتى أدموا عقبه وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه وعند ذلك دعا الله قائلا (اللهم انى أشكوا اليك ضعف قوتى وهوانى على الناس ياأرحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى) وحين عودته الى مكة اشتد عليه أذى المشركين وجهلهم .

الدرس الثامن

ولما رأى ان قريشا تمنعه من تأدية رسالة ربه عرض نفسه على قبائل العرب التى كانت تحضر الموسم بمكة كل عام ليحموه حتى يؤدى الرسالة . وكان من الذين يحجون عرب يثرب وهم الأوس والخزرج فتعرض عليه السلام لنفر منهم يبلغون الستة وكلهم من الخزرج ودعاهم الى الاسلام والى معاونته فى تبليغ رسالة ربه فآمنوا به وصدقوه وقالوا له انا تركنا قومنا بينهم من العداوة مابينهم فأن يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ووعدوه المقابلة فى الموسم المقبل

ولما كان العام المقبل قدم عليه اثنا عشر رجلا من أهل المدينة فاجتمعوا به عند العقبة وأسلموا وبايعوه فارسل معهم من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين وقد دخل أهل المدينة في الاسلام افواجا بعد اسلام سعد بن معاذ واسيد بن حضير وهما سيدان من ساداتهم

ولما كان وقت الحج من العام الذى يلى البيعة الاولى قدم كثير من أهل المدينة يريدون الحج وارسلوا وفدا لرسول الله واعده المقابلة ليلا عند العقبة . فلما حان وقت الموعد توجه اليهم عليه السلام وقد اجتمع منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وهناك بايعوه على ان يعبدوا الله وحده لا شريك له وعلى ان يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم واولادهم متى قدم عليهم

وبعد ان تمت هذه البيعة أمر رسول الله اصحابه ان يهاجروا الى المدينة فامتثلوا أمره . ولما رأت قريش ذلك اجتمعت رؤساؤهم فى دار الندوة واشتوروا فيما يفعلون برسول الله واخيرا اتفق رأيهم على ان يقتلوه وهو خارج من البيت بأن يختار من كل قبيلة شاب جلد يضربونه ضربة رجل واحد حتى

يتفرق دمه فى قبائل قريش فأعلم الله رسوله بمادبره الاعداء وأمره بالهجرة الى المدينة فتوجه من ساعته الى دار الصديق ابى بكر وأعلمه ان الله قد أذن له بالهجرة فأعدأبو بكر راحلتين للسفر واختارا دليلا يدلهما على الطريق وواعداه المقابلة ليلا خارج مكة وذلك فى الليلة التى تواعد المشركون على تنفيذ غرضهم فيها

ولما جاء الموعد أمر رسول الله ابن عمه عليا أن يبيت موضعه وخرج من الدار فلم يره بفضل الله أحد فسار هو وأبو بكر حتى أتيا غار ثور فاختفيا فيه ولما أصبح المشركون وعلموا أن الرسول فاتهم أرسلوا الطلب فى أثره الى جميع الجهات وجعلوا الجوائز لمن يأتى به فلم يظفروا بما أرادوا

وبعد ثلاثة أيام خرج الرسول والصديق من الغار ولم يزالوا سائرين حتى وافيا المدينة فسر أهلها من مقدمه عليه السلام سروراً عظيما فنزل بقباء وكان ذلك فى اليوم الثامن من ربيع الاول الذى يوافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ من الميلاد

﴿ اعمال مكة ﴾

مجمل ما دعا اليه الرسول عليه السلام بمكة أمران

(الاول) الاعتقاد بوحدانية الله (الثانى) الاعتقاد بالبعث والنشور وان هناك يوما ثانيا هو يوم الدين يجازى فيه المرء على عمله ان خيراً فخير وان شرا فشر . وبين الله على لسان رسوله مكارم الاخلاق التى لا يكمل ايمان المرء الا بها من الصدق والشجاعة والحياء والشفقة والعفة والصبر وغير ذلك وعلى هذه الامور تدور معظم الآيات التى أنزلها الله بمكة وهى معظم القرآن

أقام عليه السلام بقباء ليالى أسس فيها مسجد قباء الذى وصفه الله فى سورة التوبة بأنه مسجد أسس على التقوى من اول يوم . ثم تحول الى المدينة والانصار محيطون به متقلدى سيوفهم وخرج النساء والصبيان يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

ولما وصل المدينة نزل على ابى ايوب الانصارى واسمه خالد بن زيد ونزل المهاجرون على اخوانهم من الانصار فاكرموا

مثواهم وآثروهم على أنفسهم ثم أرسل عليه السلام زيد بن حارثة وأبا رافع الى مكة ليأتيا بمن تخلف من أهله فقدما بهم ومنع مشركو مكة بعضا من المستضعفين أن يهاجروا

الدرس التاسع

وفى السنة الاولى من الهجرة بنى عليه السلام مسجده بالمدينة . وفيها شرع الله الأذان لجمع المسلمين للصلاة

هذا وكما ابتلى الله المسلمين بمكة بالمشركين ابتلاهم بالمدينة بالمنافقين وهم قوم أظهروا الاسلام واضمروا الكفر وباليهود وهم بنو قريظه وبنو النضير وبنو قينقاع . وكان من هدى رسول الله عليه السلام أن يقبل من الناس ماظهر ويترك لله ما بطن فعامل المنافقين بذلك وعاهد اليهود عهداً مقتضاه ترك الحرب والاذى وانهم لا يعينون عليه أحداً وان دهمه عدوّ بالمدينة فللرسول عليهم النصرة

مشروعية القتال

كان عليه السلام لايقاتل أحدا على الدخول فى الدين

بل كان أمره قاصراعلى التبشير والانذار والاقناع بالحجة حتى اذا فعل أهل مكة مافعلوا من اخراج المسلمين من ديارهم وصدهم عن سبيل الله أذن الله للرسول فى قتالهم وبذلك لم يكن يتعرض الا لقريش خاصة . فلما تمالأ على المسلمين غير قريش من مشركى العرب أمر الله بقتال المشركين بقوله (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)

﴿ بدء القتال ﴾

كان من عادة قريش أن ترسل تجارتها الى الشام لتبيع وتبتاع ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيراً وكان يسير معها الحراستها كثير من أشراف قريش وسراتهم ولا بد لوصولهم الى الشام من مرورهم على المدينة فرأى عليه السلام أن يصادر تجارتهم ذاهبة وآيبة لاضعافهم فكان يرسل السرايا لاعتراض هذه التجارات فى سفرها

وفى بدء السنة الثانية خرج بنفسه ليعترض عيراً لقريش آيبة من الشام يحرسها جمع رئيسهم أبو سفيان بن حرب

الاموي ولما علم أبو سفيان بذلك أرسل الى قريش يستنجدهم لحماية عيرهم فنفروا سراعا وكانت عدتهم تسعمائة وخمسين رجلا

أما الرسول فلم يكن عنده خبر بخروج قريش حتى إذا بلغ الروحاء جاءه الخبر بذلك فاستشار أصحابه وقال لهم (ان الله قد وعدنى إحدى الطائفتين العير أو النفير) فتبين له أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهى العير ولكن قال له سادتهم وقادتهم أن يمضى لما أمره الله به مهما كلفهم من المصاعب والمشاق

بلغ الرسول عقب ذلك ان أبا سفيان نجا بالعير لانه اتبع طريق الساحل ولكن ذلك لم يرد قريشا بل صمموا على المجىء إلى بدر فنزلوا بعدوته القصوى وجاء جيش المسلمين فنزلوا بعدوته الدنيا

ولما تراءى العسكران ابتدأ بينهم القتال بالمبارزة على حسب العادات العربية ثم تبعه الهجوم وكان النصر التام للمسلمين فقتلوا من اعدائهم نحو السبعين وأسروا منهم نحو السبعين مع أن عدد المسلمين كان أقل من ثلث عدد المشركين

ولما رجع عليه السلام مع أصحابه بأسرى قريش رأى أن يقبل الفدية فيهم فافتداهم أقاربهم ومن كان فقيراً لا فدية له وكان يعرف القراءة والكتابة اعطى عشرة من صبيان المسلمين يعلمهم وكان ذلك فداء له

ولما عاد الى المدينة بلغته خيانة عن يهود بنى قَيْنُقاع فدعا رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي فاساؤا الرد واظهروا العداوة وتحصنوا بحصونهم فسار اليهم عليه السلام وحاصرهم ولما رأوا من أنفسهم العجز عن المقاومة طلبوا من المسلمين أن يكفوا عنهم ويخرجوا من المدينة فاجيبوا وارتاح المسلمون من شرهم

وفى هذه السنة حولت القبلة الى الكعبة بعد ان كانت الصلاة الى بيت المقدس وفيها فرض صوم رمضان وصلاة العيدين وزكاة الفطر وزكاة المال

فى السنة الثالثة كانت غزوة أحد وسببها ان قريشا رأت أبواب التجارة قد سدت فى وجوههم فأجمعوا أمرهم على تجنيد جيش لحرب المسلمين بالمدينة فجمعوا الرجال وكانت

عدتهم ثلاثة آلاف ولما علم الرسول باقترابهم من المدينة خرج اليهم في شوال حتى نزل الشعب من أحد شرقى المدينة وجعل ظهره للجبل اما المشركون فنزلوا ببطن الوادى من قبل أحد ورتبوا صفوفهم ورتب عليه السلام صفوف اصحابه وجعل على ظهر الجبل خمسين راميا لحماية ظهر الجيش وأمرهم ان لا يزايلوا امكنتهم مهما كان الامر

وابتدأ القتال بالمبارزة ثم الهجوم فكان النصر أولا للمسلمين حتى شرع المشركون ينهزمون ولما رأى ذلك الرماة الذين على ظهر الجبل تركوا مراكزهم مخالفين أمر رسول الله عليه السلام فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وكان اذ ذاك من قواد المشركين أخذ قطعة من الجند وعلا بها الجبل وجاء المسلمين من ورائهم فدهمهم ما لم يكن لهم على بال ودهشوا وانتقضت صفوفهم حتى صار يضرب بعضهم بعضا وعاد الى المشركين من كان قد انهزم منهم . وكان من نتيجة ذلك ان انهزم كثير من المسلمين الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من كبراء أصحابه يدافعون عنه بأنفسهم وقد أصابته شدائد

كثيرة وأصاب الذين يحوطونه كثير من الجراحات وقتل من المسلمين نحو السبعين منهم حمزة بن عبد المطلب. وهذا الذى اصاب المسلمين سببه امران الاول مخالفة الرسول فيما أمر به الثانى اشتغالهم بأمر الغنائم قبل ان يتم لهم النصر

ثم ان اباسفيان صعد ونادى بأعلى صوته نعمت فعال ان الحرب سجال وموعدكم بدر العام المقبل ثم رجع المشركون الى مكة ولم يعرجوا الى المدينة . فلما عاد عليه السلام الى المدينة اصبح حذرا من عودة المشركين الى الهجوم على المدينة فنادى فى اصحابه بالخروج فاستجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح وكان خروجهم سببا لتخوف المشركين وامتناعهم عما كانوا صمموا عليه من تتميم انتصارهم بغزو المدينة

الدرس العاشر

وفى السنة الرابعة كانت غزوة بنى النضير وسببها أنه كان بينهم وبين الرسول عهود فبينا رسول الله فى ديارهم يستنجزهم الوفاء بما توجبه تلك العهود اذ ائتمر جماعة منهم على اغتياله فأطلعه الله على قصدهم فعاد الى المدينة وتجهز